إتحاف الأذكياء
بجواز
التوسل بالأنبياء والأولياء

تأليف
السيد عبد الله الصديق الحسني
من علماء الحديث

الناشر
علي رحمي

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم حمدا يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك ونشكرك على ما أوليتنا من عميم فضلك وجزيل إحسانك ونسألك أن تجعل أفضل صلواتك وتسليماتك ، وأزكى بركاتك وتحياتك ، على سيدنا محمد واسطة عقد الوجود والوسيلة العظمى في وصول الخير إلى كل موجود ، وأرض اللهم عن آله الطيبين الطاهرين ، وعن خيار صحابته من الأنصار والمهاجرين .

أما بعد فاني طبعت فيما مضى رسالة صغيرة سميتها « اتحاف الأذكياء بما ورد في التوسل بسيد الأنبياء وغيره من الصالحين والأولياء جمعت فيها ما تيسر الوقوف عليه إذ ذاك من الآثار الدالة على جواز التوسل وأنه لا اشراك فيه ولا كفر خلافا لما يزعمه الوهابية المتنطعون .

وقد لقيت الرسالة على صغرها رواجا وإقبالا حتى نفدت نسخها فأردت أن أعيد طبعها مع زيادة فوائد انتقيتها من كتابي « الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين » في حكم دعاء ونداء الموتى من الأنبياء والأولياء والصالحين » ورتبتها على بابين .

والله المسئول أن ينفع بهذه الرسالة من قرأها ويزيل من صدره داء التنطع والتعصب ان كان من أولئك المتنطعين المتعصبين ، وأن يوفقه ويهديه ، إنه قريب مجيب .

الباب الاول فى ذكر الادلة

الدليل الأول ، قال الله تعالى فى سورة البقرة (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) روى ابن المنذر فى تفسيره عن محمد الباقر ابن على زين العابدين بن الحسين بن على عليهم السلام قال لما أصاب آدم الخطيئة عظم كربه واشتد ندمه فجاءه جبريل عليه السلام فقال يا آدم هل أدلك على باب توبتك الذى يتوب الله عليك منه قال بلى يا جبريل قال قم فى مقامك الذى تناجى فيه ربك فمجده وامدح فليس شىء أحب إلى الله من المدح قال فأقول ماذا يا جبريل قال فقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير كله وهو على كل شىء قدير ثم تبوء بخطيئتك فتقول سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت رب إنى ظلمت نفسى وعملت السوء فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت اللهم إنى أسألك بجاه محمد عبدك وكرامته عليك أن تغفر لى خطيئتى قال ففعل آدم عليه السلام فقال الله يا آدم من علمك هذا فقال يارب إنك لما نفخت فى الروح فقمت بشرا سويا أسمع وأبصر وأعقل وأنظر رأيت على ساق عرشك(١) مكتوبا بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله فلما لم أر على أثر إسمك اسم ملك مقرب ولا نبى مرسل غير إسمه علمت أنه أكرم خلقك عليك قال صدقت وقد تبت عليك وغفرت لك . وفى الباب حديث مرفوع سنتكلم عليه بعد بحول الله .

وقال الآلوسى فى روح المعانى فتلقى آدم من ربه كلمات المراد بتلقى الكلمات استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها فهو مستعار من استقبال الناس بعض الأحبة إذا قدم بعد طول الغيبة لأنهم لا يدعون شيئا من الاكرام إلا فعلوه وإكرام الكلمات الواردة من الحضرة الأخذ والقبول والعمل بها والمروى فى المشهور عن ابن عباس أن هذه الكلمات هى ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا الآية وعن ابن مسعود أنها سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب

إلا أنت » وقيل رأى مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله فتشفع به وإذا أطلقت الكلمة على عيسى عليه السلام فلتطلق الكلمات على الروح الأعظم والحبيب الأكرم صلى الله عليه وسلم فما عيسى بل وما موسى بل وما وما إلا بعض من ظهور أنواره وزهرة من رياض أنواره ، وروى غير ذلك اهـ وفي البحر المحيط لأبي حيان نحـــو ذلك مع حكاية أقوال أخرى في تعيين الكلمات .
وليس بين هذه الأقوال تعارض كما قد يظن لامكان الجمع بينها بأن آدم عليه السلام تلقى تلك الـكلمات جميعا إذ أنها لا تخرج عن كونها أذكاراً تشتمل على مدح الله وتمجيده وتوسل إليه بأكرم الخلق عليه واعتراف بالخطيئة ، فلا داعي إلى الترجيح أى ترجيح بعض الأقوال على بعض — مع إمكان الجمع بما ذكرناه وقد اختار ابن جرير الطبرى قول ابن عباس لكن لم يرد غيره ، وإليك عبارته قال بعد حكاية أقوال مختلفة عن مجـــاهد فى تعيين الـكلمات ما نص المراد منه .

وهذه الألفاظ التي حكيناها عنه وإن كانت مختلفة الألفاظ فان معانيها متفقة فى أن الله جـل ثناؤه لقى آدم كلمات فتلقاهن آدم من ربه فقبلهن وعمل بهن وتاب بقيله إياهن وعمله بهن إلى الله من خطيئته فتاب الله عليه بقبوله الـكلمات التي تلقاهن آدم من ربه وهـو قوله « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » .

وليس ما قاله من خالف قولنا هـذا من الأقوال التي حكيناها بمدفوع قوله ، ولكنه قول لاشاهد عليه من الحجة يجب التسليم لها فيجوز لنا إضافته إلى آدم وأنه مما تلقاه من ربه عند إنابته إليه من ذنبه اهـ .

وقوله فيجوز لنا إضافته الخ يشير إلى الجمع الذى قدمناه كما لا يخفى على متأمل والله أعلم .

« الدليل الثانى » قال الله تعالى فى سورة البقرة (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) الآية .

روى أبو نعيم فى دلائل النبوة من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس قال كانت يهود بنى قريظة والنضير من قبـل أن يبعث محمد صلى الله عليه

وآله وسلم يستفتحون الله يدعون على الذين كفروا يقولون اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي ألا نصرتنا فينتصرون فلما جاءهم ما عرفوا يريد محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ولم يشكوا فيه كفروا به ولهذا الأثر طرق ذكرتها في الرد المحكم المتين . وفي تفسير النيسابوري ما نصه : قوله يستفتحون على الذين كفروا وذلك أن اليهود قبل مبعث محمد ﷺ ونزول القرآن يسألون به الفتح والنصرة على المشركين إذا قاتلوهم يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم اهـ

ومثله في تفسير الكشاف . وفي تفسير الخازن ما نصه : وكانوا يعني اليهود من قبل أي من قبل مبعث النبي ﷺ يستفتحون أي يستنصرون به على الذين كفروا يعني مشركي العرب وذلك أنهم كانوا إذا حزبهم أمر ودهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما جاءهم ما عرفوا أي الذي عرفوه يعني محمداً ﷺ عرفوا نعته وصفته وأنه من غير بني إسرائيل كفروا به أي جحدوه وأنكروه بغيا وحسدا اهـ ونحوه في تفسير البغوي والنسفي . وفي روح المعاني للآلوسي : وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه قاله ابن عباس وقتادة والمعنى يطلبون من الله تعالى أن ينصرهم به على المشركين كما روى السدي أنهم كانوا إذا اشتد الحرب بينهم وبين المشركين أخرجوا التوراة ووضعوا أيديهم على موضع ذكر النبي ﷺ وقالوا اللهم إنا نسألك بحق نبيك الذي وعدتنا أن تبعثه في آخر الزمان إن تنصرنا اليوم على عدونا فينصرون فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كنى عن الكتاب المتقدم بما عرفوا لأن معرفة من أنزل عليه معرفة له والاستفتاح به وإيراد الموصول دون الاكتفاء بالاضمار لبيان كمال مكابرتهم ويحتمل أن يراد به النبي ﷺ وما قد يعبر بها عن صفة من يعقل اهـ المراد منه .

ووجه الدلالة من هذه الآية ظاهر فإن الله سبحانه أقر استفتاح اليهود بالرسول ولم ينكره عليهم وإنما ذمهم على الكفر والجحود بعد إذ شاهدوا من بركة الاستفتاح بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم . ما لا ينكره إلا من كان أعمى القلب والبصيرة مثلهم ، نسأل الله العافية .

« الدليل الثالث » قال الله تعالى في سورة النساء (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرســـول لوجدوا الله توابا رحيما) قال الزمخشري في الكشاف « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاؤوك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار إليك من إيذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم إلى الله ومستغفرا لوجدوا الله توابا لعلموه توابا أي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول — من الله بمكان » اهـ

فهذه الآية وإن كانت نزلت بسبب المنافقين المتحاكمين إلى الطاغوت — فهي عامة تشمل كل عاص ومقصر ، لأن ظلم النفس المذكور فيها يشمل كل معصية ، ثم أنها أعني الآية تدل على الاستشفاع بالنبي صلى الله عليـــه وآله وسلم في حالتي حيــــاته ووفاته لأن كلا من فعلي المجيء والاستغفار وقع في سياق الشرط ، والفعل في سياق الشرط يدل على العموم والاستشفاع في حال الحياة ظاهر ليس فيه خلاف .

وأما في حال الوفاة فالوهابيون يمنعونه متوهمين أن الموت يحول دون تحققه وهو غلط ظاهر لأن الأنبياء أحياء في قبورهم يرزقون بدليل الكتاب والسنة والإجماع .

أما الكتاب فإن الله تعالى قال في حق الشهداء (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون) .

وقال أيضا (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند

ربهم يرزقون) الآية ولا شك أن الأنبياء أعلى رتبة وأفضل جهاداً وأكثر مجاهدة من الشهداء فهم أولى بهذه المزية ، على أن نبينا عليـــه وآله الصلاة والسلام جمع الله له بين النبوة والشهادة .

وأما السنة فأحاديث بلغت مبلغ التواتر منها حديث الاسراء الذي أخبر به النبي صلى الله عليـــه وآله وسلم أنه رأي موسى قائما يصلي في قبره ، ورأى غيره من الأنبياء يصلون أيضا وهذا الحديث متواتر لأنه ورد من طريق بضع وأربعين صحابيا ، ومنها حديث أوس « أفضل أيامكم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيـه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيـه فان صلاتكم معروضة علي قالوا وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يقولون بليت فقال إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » صححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم والنووي والحافظ عبد الغني بن سعيد المقدسي والحافظ أبو الخطاب بن دحية والقرطبي والذهبي وحسنه ابن العربي المعافري والمنذري ، ومن طرقه ما رواه ابن ماجه عن أبي الدرداء مرفوعا « أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائـكة وأن أحدا لا يصلي علي الا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها قال قلت وبعد الموت قال وبعد الموت إن الله حـــــرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبي الله حي يرزق » قال المنذري في الترغيب والترهيب اسناده جيد . وقال البوصيري في الزوائد : اسناده صحيح لـكنه منقطع ، ونحوه في القول البديع للسخاوي ولا يضر انقطاعه لأن له طرقا تعضده منها الطريق السابق ، بل هو مؤيد بالقرآن كما تقدم في آيتي الشهداء فتعلل الوهابيين بالانقطاع ونحوه لايجديهم شيئا في هذا الموطن ومنها حديث أنس « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون » رواه أبو يعلى والبيهقي وصححه ، ومنها أحاديث أخرى ذكرناها في الرد المحكم المتين .

وأما الإجماع فحكاه الحافظ السخاوي في القول البديع قال بعد أن سرد عدة أحاديث تفيد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تعرض عليه أعمال أمته وصلاة من صلى منهم عليه وسلامهم ما نصه : السادسة يؤخذ من هذه

الأحاديث أنه ﷺ حي على الدوام ، وذلك أنه محال عادة أن يخلو الوجود كله من واحد يسلم عليه في ليل ونهار ، ونحن نؤمن ونصدق بأنه ﷺ حي يرزق في قبره وإن جسده الشريف لا تأكله الأرض والإجماع على هذا وزاد بعض العلماء الشهداء والمؤذنين، وقد صح أنه كشف عن غير واحد من العلماء والشهداء فوجدوا لم تتغير أجسادهم والأنبياء أفضل من الشهداء جزما اهـ

وحكى الإجماع أيضا ابن حزم في المحلى، ولهذا فهم العلماء الآية على عمومها كما قلنا جاء في تفسير القرطبي ما نصه : ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك روى أبو صالح عن علي قال قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر رسول الله ﷺ وحثا على رأسه من ترابه فقال قلت يارسول الله فسمعنا قولك ووعيت عن الله فوعينا عنك وكان فيما أنزل الله عليك ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم الآية ، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر أنه قد غفر لك اهـ وقد ذكرت هذا الأثر باسناده في كتابي الرد المحكم المتين مع أثر آخر ذكره ابن كثير في تفسيره والسخاوي في القول البديع وغيرهما وهـــو شبيه بهذا الأثر في المعنى مع تعدد الفاعل واختلاف زمن الفعل ، والمقصود أن الآية دليل على جواز التوسل والاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في سائر الأحوال لأنه في قبره الشريف حي يرزق تعرض عليه أعمال أمته فيدعو لهم ويستغفر ، ويلحق به في جواز التوسل كل من ثبتت له هذه المزية كالشهداء والعلماء العاملين والأولياء المتقين ونحوهم والله أعلم .

«الدليل الرابع» قال الله تعالى في سورة الإسراء (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) قال البغوي في تفسيره قوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة يعني الذين يدعونهم المشركون أنهم آلهة يعبدونهم قال ابن عباس ومجاهد وهم عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم يبتغون أي يطلبون إلى ربهم الوسيلة أي القربة وقيل الدرجة أي يتضرعون إلى الله في طلب الدرجة العليا وقيل الوسيلة كل ما يتقرب به

به » وقال الزجاج أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله تعالى ويتقرب إليه بالعمل الصالح ا هـ ونحوه في تفسيري الخازن وابن جزي .

تنبيه علم من هذه النصوص والآثار التي ذكرناها أن العلماء على اختلاف مذاهبهم متفقون على جواز التوسل وإنهم لا يرون به بأساً لأنهم حملوا عليه آيات من القرآن الكريم وفسروها به كما ترى . ولو كان حراماً أو إشراكاً كما تزعم الوهابية لما استجازوا أن يتجرأوا على القول في تفسير القرآن بما هو شرك وضلال ويؤيد هذا قول التقي السبكي في شفاء السقام « إن إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل قول لم يقله عالم قبله .

« الدليل الخامس » روى الحاكم في المستدرك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لما اقترف آدم عليه السلام الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه قال يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك » (١) ورواه الطبراني وزاد فيه « وهو آخر الأنبياء من ذريتك » قال الحاكم : صحيح ، ورد عليه الذهبي فقال : بل موضوع ، والحق أن الحديث ليس بصحيح ولا موضوع بل هو ضعيف فقط كما صرح به البيهقي في دلائل النبوة ، وقد نقلت عبارته ورددت كلام الذهبي من ستة وجوه وذكرت ما يشهد للحديث في كتابي الرد المحكم المتين ووجدت له شاهداً يرتقي به إلى درجة الحسن فروى ابن بشران باسناد قوي كما قال الحافظ عن ميسرة الفجر قال : قلت يا رسول الله متى كنت

---

(١) من اللطائف قول العلامة النحوي النبيه محمد بن علي بن يحيى الغرناطي الشهير بالشامي متوسلا :

جرمي عظيم يا عفو وإنني ... بمحمد أرجو التسامح فيه
فبه توسل آدم من ذنبه ... وبه اهتدى من يقتدي بأبيه

نبيا قال : « لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الأنبياء وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء فكتب اسمي على الأبواب والأوراق والقباب والخيام . وآدم بين الروح والجسد فلما أحياه الله تعالى نظر إلى العرش فرأى اسمي فأخبره الله أنه سيد ولدك ، فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي إليه » .

« الدليل السادس » روى الطبراني في معجميه الكبير والأوسط عن أنس رضي الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس عند رأسها فقال يرحمك الله يا أمي كنت أمي بعد أمي تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسيني وتمنعين نفسك طيبا وتطعميني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة » ثم أمر أن تغسل ثلاثا ثلاثا فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور وضعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده ثم خلع قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه ثم دعا أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاما أسود يحفرون فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاضطجع فيه وقال « الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين » وكبر عليها أربعا وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر رضي الله عنهما ، قال الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح غير روح بن صلاح وقد وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف اهـ . قلت : روح بن صلاح المصري ذكره ابن عدي في الضعفاء وقال الدارقطني ضعيف وذكره ابن حبان في الثقات وقال الحاكم ثقة مأمون ، على أن ضعفه خفيف عند من ضعفه كما يستفاد من عباراتهم ولذا عبر الحافظ الهيثمي بما يفيد خفة الضعف كما لا يخفى على من مارس كتب الفن ، فالحديث لا يقل عن رتبة الحسن بل هو على شرط ابن حبان صحيح

« الدليل السابع » أخرج الترمذي وابن ماجه في سننهما والنسائي في عمل اليوم والليلة الطبراني والحاكم والبيهقي وغيرهم عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ادع الله أن يعافيني قال « إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك » قال : فادعه . قال « فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهـــذا الدعاء اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد أني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هــذه لتقضى اللهم فشفعه في » قال عثمان بن حنيف فو الله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضر قط » وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر الضرير أن يتوضأ ويصلي ويدعو بالدعاء المذكور » وفي رواية لحاكم عن عثمان بن حنيف أن رجــلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال « يا رسول الله علمني دعاء أدعو به يرد الله على بصري فقال « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد أني قد توجهت بك إلى ربي اللهم شفعه في وشفعني في نفسي » فدعا بهذا الدعاء فقام وقد أبصر » وللحديث روايات وألفاظ منها عند ابن أبي خيثمة باسناد صحيح أن النبي ﷺ لما علم الضرير الدعاء المذكور قال له « وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك » وهذا أذن بالتوسل في سائر الأحوال ثم إن الروايات كلها متفقة على أن الذي دعا هــو الرجل الضرير لا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا ترجم له البيهقي في دلائل النبوة بقوله : باب ما جاء في تعليمه الضرير ما كان فيه شفاؤه حين لم يصبر وما ظهر في ذلك من آثار النبوة اهـ

ثم إن الحديث صحيح صححه الترمذي وابن خزيمة والطبراني والحاكم والبيهقي والمنذري والنووي والذهبي وابن حجر والهيثمي والسيوطي » ان لا خلاف بين المحدثين في صحته » وما قيل من أن أبا جعفر في سنده ليس هو الخطمي بل هو آخر مجهول » ليس بشيء » والصواب أن أبا جعفر هو الخطمي المدني كما جاء مصرحا به في روايات الطبراني والحاكم والبيهقي زاد الطبراني في المعجم الصغير أن اسمه عمير بن يزيد وأنه ثقة وليس من المقبول

أن يجمع الحافظ على تصحيح حديث في سنده مجهول خصوصا الذهبي والمنذري والحافظ فمحاولة بعض المصريين لتضعيف الحديث مقضي عليها بالفشل الكبير ، فالحديث صحيح بلا شك وهو يدل على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في جميع الحالات وفي سائر الأوقات كما بينته وأوضحته ببضعة عشر وجها في كتابي الرد المحكم المتين، ويكفي لبيان ذلك هنا أن نقول: أن العلماء فهموا الحديث على العموم كما هو الواجب في نصوص الشارع فأورده الترمذي في كتاب الدعوات من سننه والحاكم في الدعاء من مستدركه والبيهقي في كتاب الدعوات وهو مؤلف خاص معتبرين له من جملة الأدعية المشروعة المأثورة ، وأورده ابن ماجه في كتاب الصلاة من سننه وكذا فعل المنذري في الترغيب والترهيب والهيثمي في مجمع الزوائد معتبرين الصلاة فيه والدعاء من جملة النوافل المطلوبة ، وأورده النووي في أذكار الحاجة من كتاب الأذكار معتبرا له من جملة الأذكار التي تقال عند عروض حاجة وارادة قضائها ، وأورده غير هؤلاء كابن خزيمة في صحيحه المرتب على الكتب والأبواب وهذا اتفاق منهم على أن الحديث معمول به في سائر الأوقات والأزمان ولو كان خاصا بذلك الضرير أو بحالة دون حالة أو بوقت دون وقت لم يكن لذكرهم له في كتب الأحكام وغيرها فائدة ، أو لنبهوا على أنه خاص ليس بعام كما فعلوا في غيره من الأحاديث التي تكون خاصة ببعض الحالات هذا وقد نقل ابن تيمية في مجموعة الرسائل الكبرى أن عز الدين بن عبد السلام في فتاويه أجاز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعله من خصوصياته وقلده في هذا النقل الشوكاني في الدر النضيد ، وإن لم يصرح بذلك وناقشه في دعوى الخصوصية ورأى أعني الشوكاني جواز التوسل بالعلماء ونحوهم ، والواقع أن النقل المذكور غلط أو تحريف من ابن تيمية لأني قرأت الفتاوي الموصلية للعز ابن عبد السلام فوجدت كلامه في الاقسام على الله بخلقه فهو الذي قال فيه أنه من خصوصيات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لا مطلق التوسل الذي هو سؤال الله ببركة فلان أو بجاهه فان هذا لم يتعرض له ، وقد نقلت عبارته برمتها في الرد المحكم المتين .

« الدليل الثامن » أخرج البزار عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت الله لكم » قال الحافظ العراقي في كتاب الجنائز من طرح التثريب : اسناده جيد ، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد والمحدث القسطلاني في شرح البخاري : رجال اسناده رجال الصحيح ، وقال الحافظ السيوطي في كتاب الخصائص : اسناده صحيح ، وكذا قال علي القاري والشهاب الخفاجي في أول شرحيهما على الشفاء ، وله مع هذا نحو عشرين طريقا ذكرت منها ما يزيد على ستة طرق في الرد المحكم المتين وباقيها مستوفى في كتاب الالمام بما تواتر من حديثه عليه السلام لشقيقنا الحافظ السيد احمد ، وهذا الحديث يدل دلالة صريحة على أن النبي عليه السلام يشفع لأمته بعد انتقاله باستغفاره لهم ، وعلى هذا يجوز التوسل به لأنه استشفاع ، وهو الشفيع المشفع المجاب عليه الصلاة والسلام ثم لا يخفى أن عرض الأعمال الذي أثبته هذا الحديث ونحوه عرض إجمالي لا يلزم منه أن يكون النبي صلى الله وآله وسلم عارفا بأعمال الأمة وبأفرادهم على سبيل الاحصاء والتفصيل ، والإحاطة الشاملة ، فان العلم على هذا الوجه من خصوصيات الباري سبحانه وتعالى ولهذا جاء في حديث الحوض الذي رواه البخاري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « ليذادن ناس من أمتي عن الحوض فأقول يارب أصيحابي أصيحابي فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك » الحديث أي لا تدري على سبيل التفصيل والإحاطة ، وهذا كما يعلم الواحد منا أحوال الأقطار الإسلامية وعادات أهلها وأخلاقهم وصناعاتهم وما في بلادهم من جبال ومعادن وغلات وغيرها لكنه علم إجمالي لا يشمل كل فرد فرد شمولا تفصيليا فلا تعارض بين الحديثين خلافا لبعض الخرقين المعاصرين .

« الدليل التاسع » أخرج ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من خرج من بيته إلى الصلاة فقال : اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا فاني

لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك » صححه ابن خزيمة ، وحسنه الحافظ أبو الحسن المقدسي والحافظ العراقي والحافظ ابن حجر ، وله مع هذا طريقان ذكرتهما في الرد المحكم المتين ، ولصديقنا العلامة المطلع الشيخ محمد زاهد الكوثري كلام على هذا الحديث أحببت أن أورده لفائدته قال رحمه الله : في الحديث التوسل بعامة المسلمين وخاصتهم وإدخال الباء في أحد مفعولي السؤال إنما هو في السؤال الاستعلامي كقوله تعالى فاسأل به خبيرا سأل سائل بعذاب واقع ، وأما السؤال الاستعطائي فلا تدخل الباء فيه أصلا إلا على المتوسل به فدونك الأدعية المأثورة فتصور إدخالها هنا في المفعول الثاني إخراج للكلام عن سننه بهوى وصيحة باطل تمجها الأسماع ، وليس معنى الحق الإجابة بل ما يستحقه السائلون المتضرعون فضلا من الله سبحانه وتعالى ، فيكون عد السائلين سؤلا لهذا الداعي هذيانا محضا ، ولا سيما عند ملاحظة ما عطف عليه في الحديث ، وأما زعم أنه ليس في سياق الحديث ما يصلح أن يكون سؤلا غير ذلك فمما يثير الضحك الشديد والهزء الديد ، فأين ذهب من هذا الزاعم أن تعيذني من النار ... ؟

وكم يكرر الفعل للتوكيد فالسؤل في الفعل الأخير هو السؤل في الفعلين المتقدمين ، بل لو لم تكن تلك الأفعال من باب التوكيد المحض في باب التنازع ، فيكون هذا القيد معتبرا في الجميع على كل تقدير وأما من يحاول رد التوسل بتصور دخوله في الحلف بغير الله فإنما حاول الرد على المصطفى صلوات الله عليه لأنه هو الذي علم صيغ التوسل وفيها التوسل بالأشخاص وأين التوسل من الحلف ؟ ا هـ وهو على اختصاره كاف في رد ما أبداه الوهابية من الاحتمالات والمحالات في هذا الحديث والله أعلم .

« والدليل العاشر » أخرج الطبراني عن أمية بن عبد الله بن خالد ابن أسيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستفتح بصعاليك المسلمين ، وفي رواية : يستنصر بصعاليك المسلمين ، قال الحافظ المنذري :

رواته رواة الصحيح وهو مرسل ، قلت لا يضر إرساله لأنه مؤيد بما تقدم من الأدلة وبما يأتي ، على أن المرسل حجة عند المالكية والحنفية وكثير من العلماء كما هو مقرر معلوم .

« الدليل الحادي عشر » أخرج أحمد في مسنده عن شريح بن عبيد قال ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب وهو بالعراق فقالوا العنهم يا أمير المؤمنين قال : لا ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « الابدال بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقي بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب » اسناده صحيح غير أن فيه انقطاعا لأن شريح بن عبيد لم يلق عليا لكن له شواهد ، فروى الحاكم عن عبد الله بن زرير الغافقي أنه سمع علي بن أبي طالب يقول « لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم الابدال وسبوا ظلمتهم » قال الحاكم صحيح وأقره الذهبي ، وروى الطبراني في الأوسط عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لن تخلو الأرض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن فبهم تسقون وبهم تنتصرون ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر » قال قتادة لسنا نشك أن الحسن — يعني البصري — منهم ، قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : إسناده حسن وللحديث طرق كثيرة أفردت بالتأليف ، ومعنى المثلية في قوله مثل خليل الرحمن أنهم على طريقة إبراهيم عليه الصلاة والسلام في السخاء وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين كما جاء في أحاديث أخرى .

« الدليل الثاني عشر » روى الطبراني عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فاذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد أعينوا عباد الله » قال الحافظ الهيثمي : رجاله ثقات ، ورواه البزار وحسنه الحافظ . وروى الطبراني أيضا عن عتبة بن غزوان عن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « إذا أضل أحدكم شيئا أو أراد عونا وهو بأرض ليس بها

أنيس فليقل يا عباد الله أغيثوني » وفي لفظ أغيثوني فإن لله عباداً لا نراهم ، وقد جرب ذلك ، قال الحافظ الهيثمي : رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم إلا أن يزيد بن علي لم يدرك عتبة ، (١) في هذين الحديثين دلالة على أمرين الأول : جواز الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه خلافاً للوهابية الذين يجعلون كل استعانة أو استغاثة شركاً أما ما لا يدخل في قدرة المخلوق فلا يستعان فيه إلا الله ولا يستغاث إلا به ، وهذا بإجماع المسلمين وعليه يحمل ما رواه الطبراني عن عبادة بن الصامت قال كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال أبو بكر بن الصديق رضي الله عنه قوموا بنا لنستغيث برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله » فهذا الحديث إنما أراد الاستغاثة فيما لا يقدر عليه المخلوق كما قال ابن تيمية ، على الحديث ضعيف كما بينته في الرد المحكم المتين ، ولا شك أن أولياء الله وأصفياءه يقدرون على الشفاعة إلى الله بإذنه فالاستعانة بهم أو الاستغاثة على أساس هذا المعنى لا شيء فيها ، الأمر الثاني في الحديثين المذكورين دليل الصوفية في قولهم برجال الغيب وأنهم موجودون خلافاً لمن نفاهم من العلماء ، وتفصيل ذلك يطلب من مظانه .

« الدليل الثالث عشر » روى أبو يعلى من طريقين عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليأتين على الناس زمان يخرج الجيش من جيوشهم فيقال : هل فيكم من صحب محمداً صلى الله عليه وسلم فيستنصرون به فينصرون ، ثم يقال هل فيكم من صحب محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقال لا فيقال : فمن صحب أصحابه ؟ فلو سمعوا به من وراء البحر لأتوه » قال

---

(١) وروى ابن السني عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا فإن لله عز وجل في الأرض حاضراً سيحبسه » ذكر النووي في الأذكار أنه جرب هذا الحديث وكذا شيخه من قبله فصح معهما .

الحافظ الهيثمي رجال الطريقين رجال الصحيح . فى هذا الحديث دليل على التوسل بالصحابة والاستنصار بهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

الباب الثانى فى ذكر الآثار ونحوها

روى الطبرانى والبيهقى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه فى حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر فى حاجته — أى نسيانا لها كما يأتى — فلقى الرجل عثمان ابن حنيف فشكا إليه ذلك فقال له عثمان بن حنيف ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبى الرحمة يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فيقضى حاجتى وتذكر حاجتك ورح حتى أروح معك فانطلق الرجل فصنع ما قال . ثم أتى باب عثمان بن عفان رضى الله عنه فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان ابن عفان فأجلسه معه على الطنفسة فقال ما حاجتك فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة وقال ما كانت لك من حاجة فاذكرها ثم إن الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر فى حاجتى حتى كلمته فى فقال عثمان بن حنيف والله ما كلمته ولكنى شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجاءه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره وذكر حديث الضرير السابق فى الباب الأول وهذه القصة صحيحة صححها الطبرانى ونقل تصحيحه الحافظ المنذرى فى الترغيب والحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد وأقراه عليه . وروى ابن أبى شيبة باسناد صحيح كما قال الحافظ فى الفتح عن أبى صالح السمان عن مالك الدار — وكان خازن عمر — قال أصاب الناس قحط فى زمان عمر رضى الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام وقال له ائت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنهم مسقون وقل له عليك

الكيس الكيس ، فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر رضي الله عنه وقال يارب ما آلو إلا ما عجزت عنه ، والرجل هو بلال بن الحرث المزني أحد الصحابة كما رواه سيف (١) في الفتوح ، وروى الدارمي في سننه باسناد لا بأس به عن أبي الجوزاء قال : قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة فقالت انظروا قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطرنا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق ، فهذه عائشة أم المؤمنين أمرتهم أن يكشفوا قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مبالغة في الاستشفاع به كما قال علي القاري في شرح مشكاة المصابيح لما تكلم على هذا الأثر وهذه القصة وقعت بعد قصة عمر السابقة .

وفي صحيح البخاري عن أنس أنهم أجدبوا زمن عمر فخرج الناس إلى المصلى فقال عمر رضي الله عنه اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون ، وقد فهم ابن تيمية وتبعه الوهابية أن فعل عمر هذا يدل على منع التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد انتقاله ، وهو خطأ لوجوه .

الأول أن ترك الشيء لا يدل على منعه كما تقرر في الاصول فترك عمر للتوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا دلالة فيه أصلا على منع التوسل وقد ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيرا من المباحات فهل دل تركه لها على حرمتها ؟ لم يقل بذلك أحد من العلماء .

الثاني أن الله تعالى يقول (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف

---

(١) طعن بعض المعاصرين في رواية سيف بأنه متكلم فيه ، وهذا لا يضير لأن الرجل إن لم يكن بلال بن الحارث ، فهو يقينا إما صحابي أو تابعي ، لا شك في ذلك وكلاهما حجة ، أضف إلى ذلك أن عمر لم ينكر عليه توسله ، وهو أحد الخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباعهم .

السوء) الآية ولا شك أن العباس كان في تلك الحادثة من جملة المضطرين المحتاجين فكان التوسل به أنسب .

الثالث أن عمر أراد بالتوسل بالعباس رضي الله عنهما الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في إكرام العباس وإجلاله ، صرح عمر نفسه بذلك كما رواه الزبير بن بكار في الانساب والبلاذري في فتوح البلدان وقد ذكرت نص كلامه في الرد المحكم المتين كما أنه مذكور في فتح البارى وغيره من كتب الحديث .

الرابع : أراد عمر بفعله ذلك أن يبين جواز التوسل بغير النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الصلاح ممن ترجى بركته ولذا قال الحافظ في الفتح عقب هذه القصة مانصه : يستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الصلاح والخير وأهل بيت النبوة اه .

الخامس أراد عمر أن يبين جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل لأنه كان في ذلك الجمع من هو أفضل من العباس كعلي وعثمان رضي الله عنهما .

السادس أن توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما هو في الحقيقة توسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن العباس إنما توسل به الصحابة لكونه عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولمكانته منه قال ابن عبد البر وروينا من وجوه عن عمر رضي الله عنه أنه خرج يستسقي وخرج معه بالعباس رضي الله عنه فقال اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك صلى الله عليه وآله وسلم ونستشفع به فاحفظ فيه لنبيك صلى الله عليه وآله وسلم كما حفظت الغلامين لصلاح أبيهما وذكر بقية الخبر ، وروى الزبير بن بكار في الانساب أن العباس لما استسقى به عمر قال اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك وهذه أيدينا إليك

بالذنوب وتواصينا بالتوبة فاسقنا الغيث فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس .

فهذا يدل على أن التوسل بالعباس توسل بالنبي صلى الله عليه وآله في الحقيقة مع ما في ذلك من إكرام العباس وإجلاله وذلك يرضي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويدخل السرور عليه في قبره الشريف فظهر من هذه الوجوه أن فعل عمر رضي الله عنه لا دلالة فيه على منع التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الانتقال كما زعم ابن تيمية ولو سلمنا تلك الدلالة جدلا — على ما يرد عليها من منع ظاهر — فغاية ذلك أن يقال هذا رأى عمر رضي الله عنه وقد خالفه عثمان بن حنيف وعائشة وبلال بن الحرث المزني رضي الله عنهم وإذا اختلف الصحابة فليس بعضهم أولى بالاتباع من بعض ، بل يجب حينئذ الرجوع إلى الكتاب أو السنة وإذا فعلنا ذلك في هذه المسألة وجدنا حديث الضرير يدل على التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في جميع الحالات في الحياة وبعد الممات . ومن أدعى فيه الخصوصية أو التخصيص فعليه البيان ، على أن إقرار عمر لمن توسل بالنبي عند قبره كما تقدم قريباً دليل قاطع على أنه لا يرى منع التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن توسله بالعباس إنما كان للوجوه التي أبديناها .

وروى القاضي عياض في الشفا باسناده إلى ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوما فقال (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) ومدح قوما فقال (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الآية وذم قوما فقال (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) الآية وإن حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر ، وقال : يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به

فيشفعك الله قال الله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك) الآية ؛ وزعم ابن تيمية أن هذه الحكاية مكذوبة وأيده ابن عبد الهادي المقدسي بما أطال به من نقل نصوص الجرح في ابن حميد ، وذلك غلو وافراط ، والحق أنها ضعيفة فقط وقد عمل المالكية بمقتضاها فصرحوا باستحباب التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يحفظ عن أحد منهم بكراهته فضلا عن حرمته ؛ وقد نقلت في الرد المحكم المتين كلام ابن الحاج صاحب المدخل والإمام قاسم العقباني والإمام ابن عرفة والعلامة الشارمساحي وغيرهم من علماء المالكية وأئمتهم ، وهب الحكاية مكذوبة كما زعم ابن تيمية فن إجماع المالكية على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم غنى عنها ؛ وإنما اختلف المالكية في التوسل بغير النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمنعه ابن عبد السلام وطائفة وأجازه ابن عرفة والراجح عندهم كلام ابن عرفة كما بين في غير هذا الموضع .

وروى الخطيب في تاريخ بغداد قال أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسين بن محمد بن رامين الاستراباذي قال أنبانا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي قال سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال يقول ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر - يعني الكاظم - فتوسلت به إلا سهل الله لي ما أحب ، والخلال هذا شيخ الحنابلة في وقته .

وروى الخطيب أيضا عن إبراهيم الحربي أحد أئمة الحديث أنه قال : قبر معروف — يعني الكرخي — الترياق المجرب .

وروى أيضاً عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهري قال : سمعت أبي يقول قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج ؛ ويقال : إن من قرأ عنده مائة مرة قل هو الله أحد وسأل الله تعالى ما يريد قضى الله له حاجته

وروى أيضا عن أبي عبد الله المحاملي أحد أئمة الحديث أنه قال : أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرج الله همه .

وروى أيضا عن علي ابن ميمون قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: اني لاتبرك بأبي حنيفة واجيء إلى قبره في كل يوم يعني زائرا فاذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد عني حتى تقضى .

وقال الحافظ أبو بكر ابن المقري في مسند اصبهان : كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ في مدينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضاق بنا الوقت فواصلنا ذلك اليوم فلما كان وقت العشاء أتيت إلى القبر الشريف وقلت يارسول الله الجوع فقال لي الطبراني: اجلس فإما أن يكون الرزق أو الموت فقمت أنا وأبو الشيخ فحضر الباب علوي ففتحنا له فاذا معه غلامان بزنبيلين فيهما شيء كثير فقال يا قوم شكيتم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاني رأيته فأمرني بحمل شيء إليكم ، نقل هذه الحادثة الحافظ السخاوي في القول البديع ، وابن المقري والطبراني وأبو الشيخ كلهم من كبار الحفاظ المشهورين ، وذكر الحافظ السخاوي أيضا مما عزاه إلى أبي عبد الرحمن السلمي باسناده إلى أبي الخير الأقطع الزاهد قال دخلت المدينة وأنا بفاقة وأقمت خمسة أيام لم أذق ذواقا فتقدمت إلى القبر الشريف وسلمت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقلت أنا ضيفك الليلة يا رسول الله وتخليت ونمت خلف المنبر فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعليا بين يديه فحركني علي وقال قم قد جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقمت إليه وقبلت بين عينيه فدفع إلي رغيفا فأكلت نصفه فانتبهت فاذا في يدي نصف رغيف وأبو الخير هذا ذكره القشيري في الرسالة وقال : مغربي الأصل سكن تينات وله كرامات وفراسة حادة كان كبير الشأن مات سنة بضع وأربعين وثلاثمائة وذكر من كلامه قوله : ما بلغ أحد إلى حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة ومعانقة الأدب وأداء الفرائض وصحبة الصالحين ، ونقل ابن القيم في الكلام على بدعة الرفض من كتاب الكبائر وكتاب السنة والبدعة اه عن

الحافظ السلفي مما رواه باسناده إلى يحيى بن عطاف المعدل أنه حكى عن شيخ دمشقي جاور بالحجاز سنين قال كنت بالمدينة في سنة مجدبة فخرجت يوما إلى السوق لأشتري دقيقا بر باعي قال فأخـــذ الدقاق الرباعي وقال العن الشيخين حتى أبيعك الدقيق فامتنعت من ذلك فراجعني مرات وهو يضحك فضجرت منه وقلت لعن الله من يلعنهما قال فلطم عيني فسالت على خدي فرجعت إلى المسجد وكان لي صديق من أهل ميافارقين يجاور بالمدينة سنين فسألني عما جرى فأخبرته فقام معي إلى الحجرة المقدسة فقال : السلام عليك يا رسول الله قد جئناك مظلومين انخذ بثأرنا ثم رجعنا فلما جن الليل نمت فلما استيقظت وجدت عيني صحيحة أحسن ما كانت وذكر بقية القصة فيما حصل لذلك الدقاق على لعنتـــه أبا بـكر وعمر رضي الله عنهما وأماتنا على محبتهما .

وذكر ابن حجر الهيتمي في الزواجر قصة أخرى تقرب من هذه وقعت في المدينة أيضا واستشفع فيها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انظرها في آخر كتاب الشهادات من الكتاب المذكور . وفي أول تاريخ بغداد للحافظ الخطيب في الـكلام على مقابر بغداد ومن دفن فيها من العلمـــاء والزهاد وغيرهم ما نصه : وعند المصلى المرسوم بصلاة العيد كان قبر يعرف بقبر النذور ويقال أن المدفون فيه رجل من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه يتبارك الناس بزيارته ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته .

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي حدثني أبي قال كنت جالسا بحضرة عضد الدولة ونحن مخيمون بالقرب من مصلى الأعيـــاد في الجانب الشرقي من مدينة السلام نريد الخروج معه إلى همذان في أول يوم نزل المعسكر فوقع طرفه على البناء الذي على قبر النذور فقال لي ما هذا البناء فقلت هـذا مشهد النذور ولم أقل قبر لعلمي بطيرته من دون هـذا . واستحسن اللفظة وقال قـد علمت أنه قبر النذور وإنما أردت شرح أمره

فقلت هذا يقال أنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ويقال إنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر ابن علي بن أبي طالب وأن بعض الخلفاء أراد قتله خفيا فجعلت له هناك زبية وسير عليها وهو لا يعلم فوقع فيها وهيل عليه التراب حيا وإنما شهر بقبر النذور لأنه ما يكاد ينذر له نذر إلا صح وبلغ الناذر ما يريد ولزمه الوفاء بالنذر ، وأنا أحد من نذر له مرارا لا أحصيها كثرة نذورا على أمور متعذرة فبلغتها ولزمني النذر فوفيت به ، فلم يتقبل هذا القول وتكلم بما دل أن هذا إنما يقع منه اليسير اتفاقا فيتسوق العوام بأضعافه ويسيرون الأحاديث الباطلة فيه ، فأمسكت فلما كان بعد أيام يسيرة ونحن معسكرون في موضعنا استدعاني في غدوة يوم ، وقال : اركب معي إلى مشهد النذور فركبت وركب في نفر من حاشيته إلى أن جئت به إلى الموضع فدخله وزار القبر وصلى عنده ركعتين سجد بعدهم سجدة أطال فيها المناجاة بما لم يسمعه أحد ثم ركبنا معه إلى خيمته وأقمنا أياما ثم رحل ورحلنا معه يريد همذان فبلغناها وأقمنا فيها معه شهوراً فلما كان بعد ذلك استدعاني وقال لي ألست تذكر ما حدثتني به في أمر مشهد النذور ببغداد فقلت بلى ، فقال : إني خاطبتك في معناه بدون ما كان في نفسي اعتماداً لاحسان عشرتك والذي كان في نفسي في الحقيقة أن جميع ما يقال فيه كذب فلما كان بعد ذلك بمديدة طرقني أمر خشيت أن يقع ويتم ، وعملت فكري في الاحتيال لزواله ولو بجميع ما في بيوت أموالي وسائر عساكري ، فلم أجد لذلك فيه مذهبا فذكرت ما أخبرتني به في النذر لمقبرة النذور فقلت لم لا أجرب ذلك فنذرت إن كفاني الله تعالى ذلك الأمر أن أحمل إلى صندوق هذا المشهد عشرة آلاف درهم صحاحا فلما كان اليوم جاءتني الأخبار بكفايتي ذلك الأمر فتقدمت إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف — يعني كاتبه — أن يكتب إلى أبي الريان — وكان خليفته ببغداد — يحملها إلى المشهد ثم التفت إلى عبد العزيز وكان حاضرا فقال له عبد العزيز قد كتبت بذلك الكتاب ا هـ ما ذكره الحافظ الخطيب .

وذكر الإمام الرافعي في كتاب التدوين في ذكر أخبار قزوين ترجمة سلمان بن ربيعة التميمي الباهلي وذكر الخلاف في كونه صحابيا أو تابعيا وذكر أنه دخل قزوين وأنه توفي سنة إحدى وثلاثين ببلنجر من ناحية أرمينية قال : ويقال أنه قتل ثم نقل الرافعي عن دلائل النبوة لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة أن أهـــل تلك الناحية جعلوا عظامه في تابوت فاذا احتبس عنهم المطر أخرجوه واستسقوا به فيسقون قال ابن جماعة الباهلي يفتخر .

وإن لنـا قبـرين قـبر بلنجر   وقبرا بالصين يالك من قبر

فهذا الذي بالصين عمت فتوحه   وهذا الذي بالترك يسقى به القطر

قال : ولو قال يسقى من القطر لكان أولى — أي ليتخلص من الأقواء المعيب عند متأخري الشعراء . على أن الشطر الثاني من البيت الأول مختل الوزن ولعله من تحريف الناسخ فان نسخة التاريخ التي نقلت منها محرفة جدا ثم قال والقبر الذي بالصين قبر قتيبة بن مسلم الباهلي والذي بالترك قبر سلمان بن ربيعة اهـ قلت أما سلمان بن ربيعة فكان من ولاة عمر رضي الله عنـــه والراوين عنـه وهو من رجال مسلم له ترجمة في التهذيب وتهذيب التهذيب وغيرها ، وأما قتيبة بن مسلم فلم أقف الآن على ترجمة له والله أعلم .

وقال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في مناقب الامام أحمد ما نصه :

الباب السابع عشر في ثناء غرباء العباد والأولياء عليه ثم روى باسناده عن أحمد بن العباس الشامي قال : خرجت من بغداد أريد الحج فاستقبلني رجل عليـه أثر العبادة فقال لي من أين خرجت قلت من بغداد خرجت منها لمـا رأيت فيها من الفساد فخفت أن يخسف بأهلها قال ارجع ولا تخف فان فيها قبور أربعة من أولياء الله هم حصن لهم من جميع البلايا قلت من هم قال أحمد بن حنبل ومعروف الكرخي وبشر بن الحرث ومنصور بن عمار فرجعت وزرت القبور . ورواه الخطيب في تاريخ بغداد وزاد ولم أخرج

تلك السنة ، غير أنه قال فى أول القصة خرجت من بغــــداد وزاد ولم يقل أريد الحج ، ونقل العلامة أبو حامد محمد العربى الفاسى فى كتابه مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبى المحاسن ، عن والده المترجم له بهذا الـكتاب وهو العـلامة الـكبير والولى الشهير أبو المحاسن يوسف بن محمد القصرى نزيل فاس ودفينها أنه سئل عن قول أبى محمد الشارمساحى رحمه الله زيارة الموتى بترحم الأحياء وقصد الانتفاع بالميت بدعة إلا فى زيارة قبر المصطفى صلى الله عليــه وسلم وقبور المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين فأجاب بأن ما ذكره الشارمساحى سبقه به غيره وقال ليس من طريق القوم وذكره ابن العربى وقال ، لا يزار قبر ينتفع به غير قبر نبينا صلى الله عليه وسلم ، لكن الذى عليه الجمهور وجرى به العمل فى الآفاق زيارة قبور الصالحين والانتفاع بهم واقتباس بركاتهم ، إذ هم أبواب الله قال حجة الاسلام فى كتاب آداب السفر من الأحياء وكل من يتبرك بمشاهدته فى حيـــاته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هــذا قوله صلى الله عليه وسلم « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » الحديث ونقل كلام الغزالى فى الجواب عنه كما نقل كلام الحافظ فى فتح البارى الذى جوز فيه شـــد الرحلة إلى القبر الشريف وغيره من قبور الصالحين .

ونقل مثله عن العــلامة أبى القاسم العبدوسى المالـكى شيخهم ، ثم قال وأما ما يقصد فيها أو يحصل منها فقال الشيخ أبو العباس زروق فى قواعده ما صح واتضح وصحب العمل لازم الإباحة كزيارة المقابر فقيل ليس إلا لمجرد الاعتبار بها لقوله عليه الصلاة والسلام فانها تذكر الآخرة قيل ولنفعها بالتلاوة والذكر والدعاء الذى اتفق على وصوله كالصدقة قيل وللانتفاع بها وهو الذى فى الاحياء وقد قال الشافعى رضى الله عنه قبر موسى الـكاظم الترياق المجرب اه

ثم نقل كلاما فى هذا الموضوع إلى أن قال وقد قال الشيخ أبو العباس

ابن عقبة لتلميذه الشيخ أبى العباس زروق أى المددين أقوى مدد الحى أو مدد الميت فقال الشيخ زروق إنهم يقولون مدد الحى وأنا أقول مدد الميت فقال له الشيخ ابن عقبة صدقت لأنه على بساط الحق فالظاهر من كلامهما إن زيارة الميت أنفع وظاهر ما فى رســـالة القشيرى من أن قبر معروف يستشفى به ترياق مجرب جوازها عنده ، وفى مدخل ابن الحاج إن كان الميت المزور ممن ترجى بركاته فيتوسل إلى الله تعالى به وكذلك يتوسل بالميت ممن ترجى بركاته إلى النبى صلى الله عليه وسلم بل يبدأ بالتوسل الى الله تعالى بالنبى صلى الله عليه وسلم اذ هو العمدة فى التوسل والأصل فى ذلك كلــه والمشروع له فيتوسل به صلى الله عليه وسلم ومن تبعه باحسان ثم يتوسل بأهل تلك المقابر أى بالصالحين منهم ويكثر التوسل بهم الى الله تعالى لأنه سبحانه قد اجتباهم وشرفهم وكرمهم وكما نفع بهم فى الدنيا ففى الآخرة أكثر فمن أراد حاجته فليذهب اليهم وليتوسل بهم فانهم الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه وقد تقرر فى الشرع وعلم ما لله تعالى بهم من الاعتناء وذلك كثير مشهور وما زال النـــاس من العلماء والأكابر كابرا عن كابر مشرقا ومغربا يتبركون بزيارة قبورهم ويجدون بركة ذلك حسا ومعنى وقد ذكر الشيخ الإمام أبو عبد الله بن النعمان فى كتابه سفينة النجا لأهــل الالتجا فى كرامات الشيخ أبى النجا فى أثناء كلامه على ذلك ما هذا لفظه تحقق ذوو البصائر والاعتبار أن زيارة قبور الصالحين محبوبة لأجل التبرك مع الاعتبار فان بركة الصالحين جارية بعد مماتهم كما كانت فى حياتهم والدعاء عند قبور الصالحين والتشفع بهم معمول به عنــد علمائنا المحققين من أئمــة الدين اهـ ما ذكره ابن الحاج .

وقال الحافظ السخاوى فى أواخر المقاصد الحسنة . والمكان المعروف بالسيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب ... التى وصفها الحافظ العلم البرزالى بأنها خفيرة ديار مصر اهـ وبه انتهى ما أردنا نقله على وجه الاختصار ، وليعلم الناظر فى كتابنا هذا أننا قصدنا بما ذكرناه

من الآثار وأقوال العلماء في هذا الباب أبطال دعوى ابن تيمية أنه لم يأت عن أحد من الصحابة ولا التابعين ولا علماء السلف أنه أتى الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو قبر غيره وتوسل به الى الله وانهم انما كانوا يتوسلون به حال الحياة كما فعل عمر في الاستسقاء بالعباس فانه قال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ولاشك أن هذه الدعوى من ابن تيمية باطلة كما تبين مما نقلناه عن عثمان بن حنيف وبلال بن الحرث المزني وعائشة والحافظ بن المقرى وأبي الخير المقريي والخلال وغيرهم ممن نقلنا كلامه معزوا الى من رواه وقد حذفنا الأسانيد اختصاراً واكتفاء بذكرها في كتابنا الرد المحكم المتين .

وفي الاذكار للامام النووي أثناء الكلام على زيارة القبر الشريف مانصه ثم يرجع الى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتوسل به في حق نفسه ، ويستشفع به الى ربه سبحانه وتعالى اه .

قال ابن علان الصديقي في شرحه ، لأن التوسل به سيرة السلف الصالح الأنبياء والأولياء وغيرهم اه

تتمـــة

تقدم في أثر الباقر ص ٤ أن جبريل لقن آدم التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان آدم قد رأى وهو في الجنة اسم النبي مكتوبا فيها ثم نسيه فلما لقنه جبريل ذكره وحين سأله الله تعالى كيف عرف محمداً ؟ أجابه بأنه رأى اسمه مكتوبا ، وهذا هو الواقع . ولم يقل جبريل عرفه به لأنه خلاف الواقع ، لأن جبريل انما ذكره بعد نسيان .

الفهرس

ص

٤ الدليل الأول على جواز التوسل من القرآن الكريم

٥ الدليل الثاني من القرآن الكريم

٧ الدليل الثالث

٨ حياة الأنبياء في قبورهم

٩ الدليل الرابع

١٠ الدليل الخامس قصة سيدنا آدم

١١ الدليل السادس قصة موت فاطمة بنت أسد رضي الله عنهما .

١٢ الدليل السابع قصة الضرير

١٤ الدليل الثامن حديث حياتي خير لكم .. الخ .

١٤ الدليل التاسع دعاء الخروج إلى المسجد

١٥ الدليل العاشر الاستفتاح بصعاليك المسلمين

١٦ الدليل الحادي عشر حديث الأبدال

١٦ الدليل الثاني عشر الاستغاثة بعباد الله

١٧ الدليل الثالث عشر الاستنصار بالصحابة والتابعين

١٨ الباب الثاني في ذكر الآثار

١٨ قصة عثمان بن حنيف وصاحب الحاجة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه .

١٨ مجيء رجل إلى قبر النبي ﷺ في عهد عمر رضي الله عنه واستسقائه من القحط .

ص

١٩ قصة عام الفتق وفتح كوة إلى السماء فوق قبر النبي ﷺ .

١٩ الاستسقاء بعم النبي ﷺ وخطأ ابن تيمية والوهابية في فهم الموقف وبيان وجوه خطأهم .

٢١ مناظرة للإمام مالك في مسجد رسول الله ﷺ .

٢٢ توسل الخلال شيخ الحنابلة بقبر موسى بن جعفر .

٢٢ قول بعض أئمة الحديث في قبر معروف الكرخي .

٢٣ توسل الإمام الشافعي بقبر الإمام أبي حنيفة

٢٣ قصة الحافظ أبي بكر بن المقرى والطبراني وأبي الشيخ في المدينة .

٢٣ قصة أبي الخير الأقطع الزاهد في المدينة .

٢٤ قصة الدقاق الرافضي .

٢٥ قبر النذور .

٢٦ الاستسقاء بقبر الباهلي .

٢٧ أقوال العلماء في زيارة قبور الصالحين والتبرك بها .